الحماية أم التأهيل؟ أيهما أولاً؟

ورقة مقدمة من

أ. ذكريات سند و د. رنا الصيرفي

للملتقى العاشر للجمعية الخليجية للإعاقة

"برامج التأهيل بدول مجلس التعاون الخليجي – تشخيص الواقع واستشراف المستقبل"

27-29 أبريل 2010

المقدمة

الاستثمار الحقيقي لأي دولة يكون في استثمار طاقات وقدرات شرائحها المجتمعية، فالتنمية الإنسانية هي جوهر وأساس كل تنمية حقيقية، والإنسان أهم عنصر في هذه التنمية، والمعاق هو جزء من مشروع التنمية، فهو شريحة من شرائح المجتمع، الغنية بالمواهب والمهارات المتعددة، التي قد لا تشابه المهارات التي يمتلكها الآخرين مما يضيف رونقاً و جمالاً خاصاً في هذا المجتمع.

ومن منطلق هذه الأهمية بهذه الشريحة الإنسانية - فئة المعاقين - التي تحمل الكثير مما تتميز به و تستطيع إضافته لهذا العالم، ركزت اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة على تمكينهم و حمايتهم من التعرض للاعتداء، وتوفير مجموعة من البرامج والأنشطة المنسقة والمنظمة، التي تقدم للفرد المعاق بقصد التدريب أو إعادة التدريب لمساعدتهم في مواجهة مشكلاتهم الجسمية والعقلية والنفسية والتعليمية وتوفير فرص العمل والتشغيل من خلال التدريب ودمج المعاقين في المجتمع وإكسابهم الثقة.

وتأتي مهارات الحماية لتلعب دوراً كبيراً و مهماً في حماية المعاق من الاعتداء، لتؤسس لبناء شخصية الطفل ذو الإعاقة، و تساهم في تشكيل نظرته عن نفسه في هذا العالم والدور الذي يستطيع أن يلعبه فيه. هذه المهارات لا تقل أهمية عن التأهيل الذي يتلقاه، بل إنها تؤسس له أساساً صلباً وقوياً.

فالطفل المعاق الذي يتعرض للاعتداء، يخلف فيه الكثير من الأذى الذي يؤثر بشكل كبير على قدرته على التأهيل في المجالات الأخرى. و العكس صحيح أيضاً فمتى ما شعر الطفل المعاق بقدرته على العطاء و نمت لديه مهارات الحماية فإن عطاءه لمجتمعه ونظرته لنفسه ستؤسس أفضل أساس للتأهيل و ما بعد التأهيل.

حاجات المعاق من منظور الحماية من الاعتداء

تمثل الحماية من الاعتداء حجر الأساس للمعاق. فالطفل المعاق أكثر عرضة للاعتداءات بمختلف أنواعها ، وبدون تنمية مهارات الحماية لديه فإن هذا الأساس يختل.

وبشكل عام هناك ركائز أساسية لها تأثير في حماية الطفل ذو الإعاقة من الاعتداء، هذا القسم يتطرق إلى أهم هذه الركائز من ناحية المهارات و أيضاً المشاعر.

أولا:الحاجة إلى الحماية من الاعتداء

كل طفل يحتاج إلى بعض المهارات الأساسية التي تساهم في حمايته من التعرض للاعتداء، وتشير الدراسات إلى أن الأطفال ذوي الإعاقة هم أكثر عرضة لمختلف أشكال الإساءة والإهمال، والاعتداءات الجنسية بوجه الخصوص.

فالأطفال المعاقين معرضين للاعتداء الجنسي بنسبة 3 إلى 7 مرات عن الأطفال الآخرين وأن نسبة الاعتداء الجنسي على الإناث حوالي 69% و30%، قبل بلوغهن سن الثامنة عشر. وتشير بريغز(2004) إلى أن أهم الأسباب الكامنة وراء الخطورة العالية في تعرض المعاقين إلى الاعتداء الجنسي عن غيرهم من الأطفال هي:

- إهمال وتجاهل حقوق الأشخاص المعاقين.
- الحماية الزائدة لهم دون إفساح المجال لهم بفرص الاعتماد على أنفسهم نتيجة الرعاية الوالدية أو القائمين برعايتهم، مما يقل الفرص لهم أيضا في مواجهة المشاكل أو حلها.
- ضعف قدرة المعاقين على استقبال والتواصل مع بعض المعلومات المتعلقة بقضية الجنس.
- تجاهل الجهات المسئولة عن تقارير الاعتداء الواقعة على الأشخاص المعاقين ، وعدم الاكتراث بالحوادث الاعتداء عليهم.
- قلة الثقة والإصرار من قبل الشخص المعاق في توصيل الألم.

ونتيجة زيادة تعرض الأشخاص المعاقين للاعتداء الجنسي فقدت أوردت اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة في مادتها "16"على "ضرورة تمكين الشخص المعاق ومنع

جميع أشكال الاستغلال والعنف والاعتداء وتوفير أشكال مناسبة من المساعدة والدعم للأشخاص ذوي الإعاقة وأسرهم ومقدمي الرعاية لهم".

من ناحية أخرى فإن بعض الذين يتعاملون مع الأطفال ذوي الإعاقة لا يؤمنون بقدرتهم على تطوير مهارات تساهم في حمايتهم، ويشككون في قدراتهم الشخصية، مما يضعف الجهد والاستثمار الذي يوضع لحماية هؤلاء الأطفال. غير أن الأطفال ذوي الإعاقة حقيقة، لديهم العديد من المهارات و القدرات التي تختلف عن غيرهم من الأطفال وبالتالي تتطلب أساليب توصيل و تواصل مختلفة، وهذا لا يعني عدم قدرتهم على تعلم مهارات الحماية و إنما طريقة التوصيل لهذه المهارات هي التي ستشكل الفرق.

لذلك جاءت ضرورة وأهمية تدريب الأطفال المعاقين على مهارات الحماية من الاعتداء، منذ الطفولة المبكرة.

ثانيا: الحاجات النفسية

إضافة إلى مهارات الحماية فإن الأطفال ذوي الإعاقة لديهم حاجات نفسية تؤثر وبشكل كبير في حمايتهم من التعرض للاعتداء. فيما يلي بعض الحاجات الأساسية و النفسية التي يحتاجونها. لا يعني ذلك عدم وجود حاجات أخرى و إنما تم التركيز في هذه الورقة على أهمها و التي ترتبط بمهارات الحماية من الاعتداء ارتباطاً وثيقاً و تؤثر في حمايته لنفسه.

1. الحاجة إلى تقدير الذات:
المعاق كثيرا ما يتعرض لخبرات فيها عدم نجاح مما يشعره بالعجز وعدم الأمن والتقبل من زملائه وأسرته والمحيطين به، فيقل تقديره لذاته. هذه المشاعر لها تأثير سلبي مباشر على قدرته على التصرف في المواقف الصعبة. فالمعاق إذا لم يشعر بقدرته ولم يثق بها، فإنه لن يسعى لتطبيق مهارات الحماية في المواقف التي يحتاجها، بل إنه قد لا يسعى لأن يكون له أي رد فعل لأنه لا يؤمن بقدرته هذه.
كما أن المعتدين يتخيرون الأطفال الذين ليس لديهم ثقة بأنفسهم، وهو شعور ينعكس على الجسم وحركاته فيظهر بجلاء على جسم الطفل مما يجعله فريسة سهلة للمعتدي.

2. الحاجة إلى العطاء والإضافة:
العطاء يغذي الشعور بالقوة لدى الإنسان، وكل فرد يحتاج إلى الشعور بقدرته على العطاء، و إضافة شيء لهذا العالم. ترتبط هذه الحاجة ارتباطاً وثيقاً بتقدير الذات، وكلاهما تؤثر في الأخرى. لا ينطبق ذلك على الأطفال ذوي الإعاقة فقط، و إنما على الجميع من كبار و صغار، غير أن حساسيتها تزداد لدى المعاق. فكلما تعرض

الطفل المعاق لخبرات نجاح واستطاع أن يرى نجاحاته فإن فرصته في تقدير ذاته تزيد وبالتالي ثقته في قدرته على حمايته لنفسه تتضاعف. لذا فمن المهم فتح المجال للمعاق لفرص العطاء وفق قدراته واحترام هذا العطاء والإحساس الفعلي بقيمته. فالتعامل مع الأمر على أنه مجاملة للمعاق سيزيد الأمر سوءً، وسينعكس سلباً عليه. فالمشاعر لها قدرة غريبة في الوصول إلى الأطراف الأخرى مهما حاول الشخص تغييرها. لذا فإن تقدير عطاء المعاق بشكل صادق، يشعره بأنه يستطيع إضافة شيئا لمجتمعه والذين من حوله.

3. الحاجة إلى الانتماء:

أن شعور المعاق بالانتماء إلى أسرة ومجتمع من الحاجات الأساسية لنموه النفسي والاجتماعي، فإذا شعر الطفل المعاق بأنه منتمي إلى أسرته أو مدرسته، فهذا الشعور يجعله أكثر استقرارا ويزيد من تكييفه الاجتماعي ويزيد من قدراته وتواصله مع الآخرين، وبالتالي من حسن تقديره لذاته. ولعل أهم نتيجة لإشباع الحاجة للإنتماء هي حمايته من الابتزاز العاطفي الذي قد يتعرض له من الآخرين.

4. الحاجة إلى تقبل الآخرين:

تشير بعض الدراسات إلى أن حب وتقبل المعاق يجعله يشعر بالرضا عن نفسه وبالأمن والسعادة، مما ينعكس على استقراره النفسي والاجتماعي، وعلى النقيض فإن عدم التقبل قد يولد التوتر لديه وعدم الثقة بالنفس والحزن وأحيانا الانسحاب والانطواء أو العدوان الزائد. فكثير من حالات الاعتداء، يعمد فيها المعتدى على استغلال مشاعر الطفل المعاق وحاجته للشعور بالتقبل، فيغذي هذه الحاجة ليستغل بعدها المعاق أسوأ استغلال.

أن إشباع هذه الحاجات النفسية وغيرها للطفل المعاق تزيد من قدرته في حماية نفسه وتعزز ثقته بذاته، فهي وثيقة الصلة بالحماية فكلما زادت ثقة الطفل المعاق بنفسه قلت فرصة الاعتداء عليه والعكس صحيح.

تجربة مركز "كن حراً"

" كن حرا" بدأ كبرنامج لحماية الطفل من الاعتداء والإهمال، وتم تدشينه في التاسع عشر من مارس عام 2002م بدعم من المفوضية العليا السابقة لحقوق الإنسان السيدة ماري روبنسون. وفي يناير 2006 افتتح مركز "كن حراً" ليكون أول مركز يعنى بالوقاية من الاعتداء للأطفال في الشرق الأوسط.

يعمل "كن حرا" لتحقيق رؤيته " نعمل معاً لعالم آمن من الاعتداء على الأطفال مليء بالحب و يطمح للسلام" بالعمل على تثقيف الأطفال بالمهارات الأساسية للحماية من الاعتداء، و مهارات الحياة الأساسية من خلال التركيز على قوة الطفل و تنمية ثقته بنفسه. وكذلك يعمل على تثقيف وتدريب أولياء الأمور والقائمين على رعاية الطفل بالأساليب التربوية التي تساعد على تقوية شخصية الطفل وتعزيز ثقته بنفسه ومقدرته على اتخاذ القرارات الصحيحة في الأوقات العادية وفي الأزمات.

وانطلاقا من الاهتمام بكافة شرائح المجتمع، فقد أولى "كن حرا"، اهتماما خاصا بفئة الأشخاص ذوي الإعاقة، وذلك لكثرة تعرض الأشخاص ذوي الإعاقة للاعتداء الجنسي بنسبة تتراوح بين 5 إلى 7 مرات عن الأطفال الآخرين. وخلال أكثر من 4 سنوات أجرى "كن حراً" دراسات ميدانية واستطلاعية حول احتياجات الأشخاص ذوي الإعاقة، للتعرف على خصائصهم وطرق التواصل معهم بشكل فعال، من أجل تصميم و إعداد مهارات للحماية وفق احتياجات كل فئة من فئات الإعاقة. ويركز مركز "كن حراً" على أربعة أنواع من الإعاقات: الإعاقة الذهنية البسطة، الإعاقة البصرية، الإعاقة السمعية، والإعاقة الحركية.

وفي فبراير 2009 دشن "كن حرا" برنامجاً خاصاً لحماية الأطفال و المراهقين ذوي الإعاقة من الاعتداء، تحت عنوان "أنا طفلٌ قوي وذكيٌ و آمن...رغم إعاقتي"، و برعاية سمو الشيخة حصة آل ثاني المقررة الخاصة لدى الأمم المتحدة المعنية بشؤون الإعاقة في تلك الفترة. و أطلق خلالها كتيب المهارات الأساسية للحماية من الانترنت بلغة برايل للمكفوفين.

كما تم تصميم 4 أدلة لتدريب المدرب على توصيل مهارات الحماية من الاعتداء إلى الأطفال ذوي الإعاقة، بحيث اختص كل دليل بنوع من أنواع الإعاقة، ويشمل: الإعاقة الحركية، الإعاقة البصري، الإعاقة السمعية، و الإعاقة الذهنية البسيطة.

علما أن هذه الأدلة تستهدف فئة المدربين والمختصين القائمين على الأشخاص ذوي الإعاقة، وتوفر لهم سبل وطرق توصيل المعلومات الخاصة بمهارات الحماية بطرق ابتكاريه وممتعة للأشخاص ذوي الإعاقة، وتتسم بمراعاة خصائص كل إعاقة، ليتم توصيل المعلومة بشكل فعال.كما تم مراعاة الاستراتيجيات والوسائل التعليمية والأنشطة لتناسب مع كل فئة.

ومن أهم مهارات الحماية التي يركز عليها "كن حراً" هي:

1. **المهارة الأولى: " قل لا للغرباء":**

تهدف هذه المهارة إلى مساعدة الطفل على تمييز الأشخاص الغرباء وكيفية التعامل معهم في حالة تم استدراجهم ببعض المغريات كالحلوى أو ركوب السيارة معهم أو تقديم الهدايا والنقود وغيرها،كما تدرب الطفل على حسن التصرف معهم حينما يتعرض لمثل هذه المغريات.

2. **المهارة الثانية:"لا مكان للسر السيئ في قلبي":**

تهدف هذه المهارة إلى التمييز بين السر الجيد الذي يشعر معه الطفل بالفرح والسعادة وبين السر السيئ الذي يسبب الإزعاج والضيق والخوف، والذي على الطفل ألا يحتفظ به وأن يخبر شخصاً كبيرا من الممكن أن يقدم له المساعدة كأحد والديه أو معلمه أو أحد أخوته أو أي شخص كبير ممكن أن يثق به.

3. **المهارة الثالثة :"جسمي ملك لي":**

تهدف هذه المهارة إلى إدراك الطفل لجسمه والتعرف على مفهوم ملكيته لجسمه وأنه لا يحق لأحد أن يرى أجزاء جسمه الخاصة به، إلا والديه أو الطبيب أو من يقوم بمساعدته، وذلك بعد استئذانه.

4. **المهارة الرابعة:" أنا أميز بين اللمسة الجيدة واللمسة السيئة":**

تهدف هذه المهارة إلى التمييز بين اللمسة الجيدة التي تشعر الطفل بالراحة والفرح والسعادة (كحضن أمه له) وبين اللمسة السيئة التي تشعره بالضيق والانزعاج والخوف.

ولا يكتفي"كن حرا" بتدريب الأطفال على مهارات الحماية بشكل مستقل بل أنه يركز على الجانب النفسي وتعزيز ثقة المعاق بنفسه والاعتداد بها. ويعد الجانب النفسي أساساً مهماً لأنه يخدم مهارات الحماية بصورة تكاملية، فهو يركز على التفكير الإيجابي نحو الذات ونحو دوره في المجتمع، فمن هذه المهارات على سبيل المثال تعليم الطفل المعاق "التفكير الايجابي" وأهميته.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تعزز هذه المهارات الأساسية ثقة المعاق بوجود القدرات لديه الإيمان بها وبسبل توظيفها، وأنه إنسان منتج ويستطيع العطاء في هذا العالم.

كما يعمل المركز مع أولياء أمور المعاقين، لمناقشة الدور الكبير الذي يستطيعون لعبه في حماية أطفالهم من الاعتداء، و أيضاً مناقشة التحديات التي يواجهونها.

الهدف من هذه الندوات و المحاضرات و الحلقات النقاشية هو إكمال حلقة الحماية للأطفال المعاقين. بحيث يكون هناك توافق بين ما يتلقونه في مركز "كن حراً" أو من قبل مدرباتهم و ما يتلقونه في المنزل مع أسرهم.

دور المجتمع في حماية المعاق

إن نظرة المجتمع نحو المعاق لها الأثر الكبير في نظرته لنفسه و التي بدورها تؤثر على تعرضه للاعتداء، ولكن لا يخلو مجتمع ما من بعض النظرات التقليدية السائدة التي ينظر فيها للمعاق، ليضعه في قالب يقلل من شخصه ومن حقه أو من إنسانيته.

وكثيراً ما يتم التركيز على نقاط الضعف عوضاً عن نقاط القوة ، لذلك يستغرب بعض الأشخاص غير المعاقين، من تفوق بعض المعاقين في مجالات قد لا تخطر على بالهم كتفوقهم الفني والموسيقي وغيره، بينما هذه المهارات هي متاحة للجميع، و بعض الأشخاص ذوي الإعاقة لديهم مهارات لا يمتلكها الآخرون.

وكثيرا ما تسلط الأضواء نحو مناحي اختلاف المعاق وهذا الاختلاف يكون أداة سخرية البعض، فبعض يستخدم هذا الاختلاف مادة للسخرية والاستهزاء وتقليل من شأن المعاقين، دون مراعاة لشعورهم وأحساسيهم.

ومن النظرات التي يعاني منها المعاق أيضا نظرة الشفقة والعطف. ويعتقد البعض أنه يحسن للمعاق ويساعده ويتشاعر معه بنظرته نظرة شفقة تجاهه، في حين أنه يسيء للمعاق من حيث لا يشعر، دون قصد أو عمد، لأن هذه النظرة تشعر المعاق بأنه مسكين وضعيف ولا حول له ولا قوة. فيبدأ المعاق بالنظر إلى نفسه من المنظار ذاته، وهذه النظرة تسلب الإنسان قدرته على العطاء و التفاعل الإيجابي مع المجتمع، و تتغذى على الشفقة الدائمة.

فكيف يمكن للمجتمع أن يساعد المعاق؟

المجتمع بمؤسساته المختلفة، يلعب دورا كبيراً في حماية المعاق و تنمية شخصيته. و إحدى النواحي المهمة هي دمج المعاق مع أقرانه غير المعاقين وإدخاله ضمن نسيج المجتمع المدرسي والمجتمع العائلي والمجتمع الأكبر، فيكون عضوا فاعلا في النادي والحديقة والمدرسة والمسجد وغيرها. إن للدمج أثراً كبيراً على الأطفال ذوي الإعاقة و أيضاً الأطفال الآخرين من حولهم. فإن عزل الأطفال ذوي الإعاقة يزيد من تعرضهم للتمييز، و يجعلهم غريبين على المجتمع وكثير من الأطفال و الكبار كذلك يجدون صعوبة في التعامل معهم. وأما الدمج فهو يغير نظرة المجتمع وبخاصة الأطفال، و يتعلمون احترام المختلف واحترام حقوقه، ويكون وجوده مألوف وطبيعي. من ناحية أخرى فإن الأطفال ذوي الإعاقة تتطور مهاراتهم بالدمج و يصبحوا أكثر حيوية و سعي للتعلم.

والدمج يتطلب توعية المجتمع بكيفية التعامل مع المعاقين و وضع أسس صحيحة للتعامل،

مما يساهم في التصدي لنظرة الخجل الاجتماعي التي يعاني منها بعض أسر المعاق، اتجاه أبناءهم، فهذا الشعور سيزيد ثقة المعاق بنفسه وبحبه وبانتمائه لمجتمعه ووطنه. فالمعاق ليس معاقاً في مشاعره بل يتمتع بمشاعر فياضة تصله كل المشاعر الايجابية أو السلبية اتجاهه ويشعرها دون حاجة لترجمان. ومن هنا جاءت أهمية العناية بمشاعرهم والتعامل معهم باحترام وعدم الشفقة والعطف بل معاملتهم كأي إنسان آخر له مميزاته و له نواحي ضعف.

و بتكاتف مؤسسات المجتمع كافة نستطيع إحداث تأثير أكثر عمقاً يطال مفهوم النظرة للمعاق من الجذور، و بناء شخصية أكثر عطاءً في المجتمع.